البعد القومي وأثره في توتر العلاقات الأوربية بين الحربين

– دراسة تاريخية في الجذور والمنطلقات –

محمد حسين زبون

كلية التربية / ميسان – جامعة البصرة

توطئة : لهذا المفهوم اصل ال لغوي مشتق من كلمة (قوم) ، وتعني مجموعة من الناس –تجمعهم روابط معينة ، لاسيما رابط النسب المشترك وهو لاشك يعد من أكثر المقومات فعالية في دفع الإنسان إلى تحرير النفس من أجل مواجهة التحديات الخارجية المتمثلة بالقوى المهيمنة. (١)

أما من حيث وجهة النظر السياسية فان مفهوم القومية يقرن بالأمة، والانتماء أليها، وهي من الشروط الاساسية لتحقيق السيادة التاريخية والثقافية والاجتماعية ، وربما تؤدي إلى اندماج وحدوي (٢).

بدا مفهوم القومية الحديث ينتشر في القارة الأوربية في أواخر القرن الثامن عشر بعد ظهور الحركة الرومانتيكية الألمانية ، وقد كان ذلك كرد فعل للحروب التي دارت بين ألمانيا وفرنسا خلال الحقبة المذكورة ، كما إن مفهوم

القومية أقترن سياسيا بالصراع الطبقي الذي تزعمته البرجوازية المتنامية ، التي كانت تسعى إلى السيطرة الكاملة على مرتكزات السياسة المحفزة لإنشاء دول قومية ضمن الأطر والمقومات (الجيو – بولتيكية) (٣) الحديثة (٤) ، إذ راحي الطبقة البرجوازية تكافح النظام الإقطاعي من اجل القضاء عليه ، وبالتالي تتمكن من انشا (دولة قومية) على أنقاضه ، وقد عبر مفهوم (القومية) عن حاجة الطبقة البرجوازية إلى نظام سياسي متكامل ذا أسس واقعية تقود الدولة إلى تحقيق نوع جديد من العلاقات الدولية سواء كانت هذه العلاقات داخل القارة الأوربية أم خارجها ، وذلك من خلال التضامن الدولي في مستعمراتها . (٥)

ومن الجدير بالذكر أن الطبقة البرجوازية كانت دائما تشعر بالحاجة إلى تحقيق نظام سياسي مركزي قادر على حماية مصالحها الاقتصادية وطموحاتها السياسية والاقتصادية المتنامية . (٦)

ويقودنا هذا وهو أمر لاشك فيه إلى أن التنافس الاستعماري الذي تناما بشكل واضح وجلي خلال القرن التاسع عشر كان من نتائج تلك التناقضات التي عاشتها القارة الأوربية حينذاك. وبعد أن تمكنت الطبقة البرجوازية عن توطيد مكانتها السياسية بدول ذات سيادة (دول قومية) ، بدأت تحاول أن تمد نفوذها وهيمنتها إلى الخارج ، إذ فرضت هيمنتها الاستعمارية على إرجاء واسعة من العالم ، (٧) كما خاضت فيما بينها صراعات وحروب في سبيل الاستحواذ على المستعمرات وما تنطوي عليه من مصالح اقتصادية متمثلتا بالمواد الخام والأسواق الرائجة. (٨)

وفي صدد الإطار العام للموضوع ، لابد من ذكر العوامل التي ساعدت على بلورت الفكرة القومية بين شعوب القارة الأوربية ، فضلا" عن الجوانب الجوهرية التي مر ذكرها . أن من بين أبرز مظاهر القرن التاسع عشر السياسية والاجتماعية ، انتشار الأفكار اللبرالية والقومية ،مدفوعة في ذلك المقاومة استبداد الملوك وتعسفهم ، كما سعى أنصارها إلى تحقيق استقلالها ، لان أغلب الأقطار الأوربية كانت منضوية تحت حكم إمبراطوريات أجنبية أخرى. (٩)

لقد آل هذا الأمر إلى بلورة تلك الأفكار وصياغتها في إطار عمل فعلي ، لاسيما في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، حيث اندلعت ثورات القارة الأوربية ، وخاصة في إيطاليا وألمانيا ، مطالبة بحقوقها القومية ، حيث شعرت تلك البلدان بأختلافها الواضح بعضها عن البعض الآخر . ومن الجدير بالذكر أن الشعور القومي الذي آل بالشعوب الأوربية إلى الثورة لم يكن ديالكتيكيا بل أنه تأثر بالأفكار اللبرالية الفرنسية ، وذلك من خلال ما طرحته ثورتها من مبادئ سياسية وإجماعية كانت بمثابة الشعارات التي دعت إلى الحرية والإخاء والمساواة. (١٠)

ومن هنا يتضح تأثير الدور المهم الذي لعبته الثورة الفرنسية في بلورة الفكر اللبرالي القومي في باقي أقطار القارة الأوربية ورفض الحكومات الملكية وانتقادها لما كان يحدث داخل فرنسا من تغيرات وتطورات شملت كافة الأصعدة ، لاسيما السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية. وقد لعبت إنجازات بعض المفكرين والأدباء الأوربيين الدور الواضح في بلورة الفكر القومي السياسي ودعمهم لدعاة التحرر

الوطني ومن بين هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الشاعر الإيطالي ماريني في حين مثل فختة الأدب السياسي الألماني. (١١)

وثم سبب آخر كان من بين أهم ألا سباب التي أدت إلى أيقاض الشعور القومي لدى الشعوب الأوربية ألا وهو التطور التقني وذلك من خلال ما جاءت به الثورة الصناعية من تطور شمل طرق النقل في داخل الأقطار الأوربية وخارجها فقربت بذلك بين أبناء الأمة الواحدة واشعرتهم بالروابط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تجمعهم ببعضهم بصورة مكنتهم من رسم سيادة دولهم احسن من ذي قبل .(١٢)

وهذا يعني أن المخالطة التي جاءت كنتيجة لتطور طرق المواصلات سواء كانت هذه المخالطة داخلية مع ابناء الشعب الواحد او خارجية مع الاقطار الاجنبية الأخرى ، جعلت من المجتمعات ان تكشف نقاط الاختلاف مع الاخرين ، حيث شمل هذا الكشف كل ما من شانه ان يبعد المجتمعات فيما بينها ، وقد ادى هذا الامر بالنتيجة الى ظهور التطلعات القومية في القارة الأوربية ، الخارطة السياسية بشكل ينسجم مع الا أن هذا الأمر لم يكن ببسيطا الى هذا الحد ، إذ شهدت أقطار القارة الأوربية توترا واضحا في العلاقات الدولية وصل في بعضها الى درجة الصراع المسلح ، وقد شمل هذا الحال حقب مختلفة من تاريخ أوربا الحديث لاسيما تلك التي سبقت الحربين العالمية الأولى والثانية . ومن الملاحظ ايضا ، ان عوامل فكرية وسياسية وتقنية ، قد ساعدت على انبثاق الفكرة القومية بين اقطار القارة الاوربية ، بالشكل الذي دفع كل

قطر من الاقطار الى الاعتزاز بعناصر امتها الخاصة بها ، الأمر الذي انعكس على طبيعة العلاقات بينها ، لاسيما في حقبة ما بين الحربين

البعد القومي والحرب العالمية الأولى :

لاشك ان تاثيرات الفكرة القومية ، قد انتشرت في جميع اقطار القارة ا الاوربية ، لاسيما بين الاعوام (١٩٠٤-١٩١٤) ، اذ راحت تلوح بانها ستكون من الاسباب البارزة لقيام الحرب العظمى . (١٣)

اعطت بعض المصادر مسالة الاهتمام بالجانب العسكري اهمية لا يستهان بها ، معتمدة في ذلك على الحماس القومي لدى صانعي القرار السياسي في الدول الأوربية وتتبعهم في ذلك شعوبهم ، وهنا لابد من القاء نظرة على اهم الاحداث التي احتوت هذا المضمون ، ففي عام ١٩١٣ ، لعبت القومية دورها الواضح في اثارة الوضع السياسي الالماني تجاه فرنسا ، اما الاخيرة فكانت تتحفض بروح هادئة – اتسمت بالتواضع في كثير من الاحيان – ويبدو ان الانتخابات التي اجريت عام ١٩١٤ ، قد الت الى هذا الاسلوب من العمل الدبلوماسي ، حيث ابتعد عن نفس القومية العدائية ، رغم فرض ذاتها حينذاك . (١٤)

وقد يكون ذلك احد الاساليب اللمتبعة لكسب القضية ، فيما اذا استطاعت فرنسا سحب الالمان الى طاولة المفاوضات ، وفضلا عما ذكر ، ان فرنسا لم تكن راغبة من حيث الجانب القومي في استرجاع الاراضي التي خرجت من سيطرتها عام ١٨٧١ ، وبالتحديد في ممفاوضات الحقبة الممتدة بين (١٩١٢-١٩١٤) ، الا ان هذه القضية بقيت تمثل عائقا امام أي خطوة من شانها ان تحسن ظاهرة الانفراج السياسي

بين المانيا وفرنسا ، اذ لاشك ان الدول القومية الحديثة، بدات تتطلع الى المنافسة من اجل السيطرة والاستحواذ ليس فقط على الصعيد الداخلي للقارة الأوربية بل اخذ هذا الأمر ينتشر ليشمل مناطق خارج القارة الأوربية في آسيا مثلا" وأفريقيا. (١٦)

إن العلاقات الالمانية – الفرنسية بقت متوترة ، في ضوء مطالبة وأثبات أحقية – وذلك حسب رأي كل منهما – البلدين بمنطقتي الازاس واللورين ، وبمرور الوقت اصبح تنازل المانيا عن هاتين المنطقتين شرطا أساسيا" من شروط التقارب الالماني الفرنسي ، حتى ان رئيس وزراء فرنسا قد أكد في معرض القول، بأن فرنسا لا يمكن أن تتعاون وديا" مع المانيا ألا أذا أستطاعت الاخيرة ان تصلح الماضي وتتنازل عن المناطق المذكورة ، وهذا يؤكد أن الاقليات الفرنسية والشعور بالانتماء

الى قوميتها كان له بالغ الأثر على صناعة القرار السياسي الفرنسي ، الامر الذي جعل المنطقة مهمة أو أنها "سببا رئيسيا" في اندلاع الحرب العالمية الأولى . (١٧)

ومن جانب استثارة مخاوف كل من النمسا وهو نغاريا من النزاعات القومية ، خاصة من الجانب اليوغسلافي الصربي ، عملت الدولتان بجهد سياسي حثيث في سبيل تقويض الوجود اليوغسلافي وبالتالي اضعاف النزعة القومية التي طالما راودت مخاوف الدولتين المتحالفتين ، وبهذا الصدد ، اجرت الدولتان مفاوضات شبه سرية مفادها تقسيم صربيا بين بلغاريا والبانيا واليونان ، اما باقي الدولة الصربية فتقسم بين النمسا وهو نغاريا (١٨)

ويبدو ان اخطوات التي سارت عليها كل من النمسا وهو نغاريا في هذا الشان ، كانت تهدف إلى أحراز مقصدين مهمين ، الأول ستراتيجي والثاني سياسي ، فارادت من خلال المقصد الأول أن تؤمن الجبهة الجنوبية عسكريا لمواجهة أي خطر عسكري من المحتمل ان يحدث متزامنا مع وقوع الحرب المحتملة والوشيكة في الوقت عينه ، في حين ارادت من خلال الثاني ان تبعد كل نزعة قومية من شانها ان تهدد الاستقرار السياسي الداخلي المنبثق من التطلعات الاستقلالية للصربين في يوغسلافيا ، اذربما يؤدي ذلك الى استنهاظ نزعات قومية أخرى في المنطقة ، وهذا يعني ان البلدين (النمسا) وهو نغاريا) قد طبقتا اجراءات وقائية كي تواجه ما قد يحدث لاحقا من تطورات تجعل القارة الأوربية تدور في دوامة حرب خارجية ، وهذا ما وقع فعلا" في ٢٨ / حزيران/١٩١٤ ، عندما اقدمت مجموعة من العناصر السلافية على اغتيال الارشيدوق (فرنييس (فرديناند و لي عهد النمسا وهو نغاريا ، وعلى اثر ذلك سارعت حكومة النمسا على اتخاذ اجراءات مشددة نحو الصرب ، اذ ارسلت اليها انذارا شديد اللهجة طلبت فيه من صربيا ايقاف الحملات الاعلامية التي غلب عليها الطابع القومي. (١٩)

وقد انعكست خطورة هذا الموقف على طبيعة العلاقات الدولية الاوربية لاسيما القوى العظمى منها ، اذ سرعان ما اعلنت روسيا مساعدتها للجانب الصربي ، وذلك من خلال استصدار طلب موجه للحكومة النمساوية – الهونغارية ، بان تخفف لهجتها العدوانية على الصربين ، فضلا عن اعلانها روسيا النفير العام

، اما المانيا فقد راحت تواجه تلك التطورات الخطيرة بنفس الطريقة التي انتهجتها روسيا لاحتواء الموقف ، فبعد أن أوضحت المانيا للجانب الروسي بان مواقفها المتخذة ، لاسيما الموقف المتعلق بقرار اعلان النفير العام لا يعني الا اثارة موقف متازم نحو الحرب ، وعليه يجب سحب قرارها المعلن ، غير ان الجانب الروسى احتوى وجهة النظر الألمانية بطريقة سلبية مفادها الرفض القاطع ، الأمر الذي حدى بالحكومة الألمانية الى اتخاذ اجراءات ترتقي الى مستوى الحدث ، فبعد ان اعلنت النفير العام للرد بالمثل على روسيا ، اعلنت الحرب على فرنسا المؤيدة للموقف الروسي والقريبة منها جغرافيا". (٢٠)

هذا بالنسبة الى اهم الانعكاسات التي تمخضت عن الازمة القومية الصربية التي واجهت التحديات النمساوية_ الهونغارية ، غير ان الامر الذي لابد منتوضيحه فيهذا الخصوص والمثير للجدل ايضا" ، هو ان النوازع القومية التي دخلت كاحد اهم الاسباب المباشرة لاندلاع الحرب العالمية الأولى هي نفسها ولجت في قائمة اهم الاسباب المؤدية للحرب العالمية الثانية ، وهذا ما سنتباوله فيما بعد ، محاولين تسليط الضوء على اهم المرتكزات السياسية الدولية التي افرزتها الحرب العالمية الأولى ، وذلك ضمن سياق موضوعي يتناول اخطر النزاعات القومية ، وما هي الاسباب التي ادت الى تعزيزها خلال حقبة ما بين الحربين.

البعد القومي وقضايا نهاية الحرب العالمية :

الأولى: حيثيات ونتائج :

من اهم الاحداث التي شهدتها الحرب العالمية الأولى ، لاسيما السنة الاخيرة منها ، دخول الولايات المتحدة الأمريكية الحرب في نيسان ١٩١٧ ، لتغير موازين القوى المتحاربة ، اذ كان لدخولها هذا الأثر في توجيه مجرى الحرب ، حيث أضحى انتصار الحلفاء على المحور امرا اكيدا" ، وذلك لما حملته معها الولايات المتحدة الأمريكية من طاقات اقتصادية وبشرية جددت بها دم حلفاءها في الوقت الذي كانت فيه الاوضاع الاقتصادية والبشرية تتحول من سيئ إلى أسوأ بالنسبة الى المانيا وحلفائها. وبما انه لسنا بصدد موضوع احداث الحرب بقدر ما نريد ان نلقي الضوء على البعد القومي الذي ادى الى دفع أمريكا أن تختار طريقها في دخول الحرب الى جانب الحلفاء ، فمن المؤكد أن الشعب الامريكي هو مزيج من شعوب اوربا ، وبالاخص ذوي الاصول الانكليزية والفرنسية ، وهذا ما يرجح أن سبب الانتماء العنصري كان من بين اهم الاسباب التي الت بالولايات المتحدة ان تقف بجانب الحلفاء ، (٢١) مما جعل الوضع العسكري في المانيا يشهد عجزا" ملحوضا" جعلها تطلب الصلح بصورة مهينة من دول الحلفاء . (٢٢) ويبدو أن دوامة الحقد المستمر قد أنطلقت منهذه اللحظة التي طلبت المانيا من خلالها الصلح مع دول الحلفاء المنتصرة – اذ ما لبثت الدول المنتصرة أن توافق على عقد مؤتمر الصلح، حتى أخذت تملي على الجانب الالماني شروطا جعلتها –الاخيرة – تعيش عقدة الحقد والانتقام حتى قيام الحرب العالمية الثانية.

طلبت فرنسا حليفاتها أن يعقد المؤتمر في باريس ، وتم ذلك في ١٧ / كانون الثاني ١٩١٩ ، اذ تناول مواضيع تتعلق بوضع صيغ جديدة للعلاقات الدولية في اوربا ، لاسيما الدول العظمى منها وهي كل من بريطانيا ، فرنسا، أمريكا وايطاليا بمجلس اطلق عليه مجلس الاربعة) وقسمت أعمال المؤتمر بين عدد من اللجان المتخصصة منها لجنة تسوية الحدود وأخرى للتعويضات (٢٣) الا أن المؤتمر واجه بعض المشاكل التي جعلته يصل الى درجة التناقض الجدلي داخل ميزان القوى الأوربية ، وخلقت ثغرات في مضامين أهداف المؤتمر ، الامر الذي جعله (المؤتمر) أن يكون دافعا لطرح وجهات نظر تتعارض مع المطامع التي كانت تسعى أليها الدول المنتصرة ، وكان ذلك نتيجة أسباب عدة أهمها.

المعاهدة – ذات السرية الموقعة بين الحلفاء اثناء الحرب مثل :

١. معاهدة لندن ومعاهدة سايكس – بيكو.

٢. بنود ولسون الاربعة عشر التي ألقاها في خطاب ٨ كانون الثاني من عام١٩١٨ (٢٤)

وعند ألقاء نظرة موضوعية للاسباب التي التي أدت الى خلق مشاكل المؤتمر ، خاصة الثاني منها لوجدنا أن جوهره يتعلق بمضامين قومية كان لانعكاساتها الاثر البالغ في توتر العلاقات الالمانية مع دول أوربا المجاورة لها ، لاسيما بولندا. مع ذلك حاولت المانيا أن تتمسك بمضامين بنود ويلسون الاربعة عشر ، حتى انها استندت اليها في وضع مذكرة ارسلتها الى ويلسون في ٢٣ / تشرين الأول من عام ١٩١٨ ،

احتوت على شروط لا يمكن لألمانيا أن تقبل الصلح بدونها ، وأهم هذه الشروط :

١. حرية انتقال السفن في البحار.

٢. نزع السلاح الى الحد الذي يضمن سلامة الأمن الداخلي الأوربي

٣. حق تقرير المصير (وهي مسألة تتعلق بمشكلة القوميات الأوربية) .

٤. تأليف عصبة الامم.

٥. تسوية قضية البلقان على أساس القوميات. (٢٥) :

لقد كان موقف الحلفاء من تلك المرتكزات هو رفضها لتكون اساسا" للسلام ضمن مقاييس قومية من شانها تخفيف حدة التوتر التي قد تحدث بعد عقد المؤتمر بمدة قليلة ، وعلاجها بادئ ذي بدء ، غير ان الشيء الخطير في هذا الامر هو أن دولة الحلفاء رغم موافقتهم على هذه المرتكزات الا ان هذه الموافقة لم تخرج عن الاطار الشكلي وبقيت مبادئ ويلسون غير معمول بها من حيث الجوهر . (٢٦)

ربما ان الطابع البيروقراطي والشكلي قد اثر على مستوى العلاقات الدولية بين اقطار القارة الأوربية فيما بعد ، اذ وفر هذا الطابع المناخ المناسب لازدياد حدة مشكلة القوميات وجعلها من أكثر الحجج حساسية في تقويض سعة الانفراج السياسي الدولي.

معاهدة فرساي ومشكلة القوميات :

وقعت المانيا على معاهدة الصلح في فرساي مضطرة في ٢٨ / حزيران ١٩١٩م، (٢٧) وسنحاول في هذا الموضوع توضيح أهم مضامين الجوانب القومية التي سيطرة على الساسة الأوربين، لاسيما الالمان منهم.

ا – تعديل حدود فرنسا وحمايتها من أي اعتداء الماني محتمل ، أذ رأت فرنسا نفسها في وضع لابد من الدفاع عنه وأن يمتاز هذا الدفاع بصفة الاستمرارية ، وقد صيغت اتفاقات في هذا الصدد شمل ضرورة نزع سلاح هذه المنطقة بصورة دائمة ، وأعيدت الأزاس واللورين الى فرنسا ، كما استولت بلجيكا على أوين وما ليدي من المانيا ووضعت السار تحت ادارة عصبة الأمم لمدة خمسة عشر سنة على أن يقرر مصيرها بعدئذ بالاستفتاء العام.

والمعروف أن المانيا كانت متحمسة لانها مشكلة الحدود بين فرنسا والمانيا وذلك لأهمية تتعلق بالجوانب الاقتصادية. (٢٨)

انهاء مشكلة الحدود بين الماني وبولونيا (الحدود الشرقية لألمانيا)، اذ تقرر الاعتراف بأستقلال بولونيا ، غير أن ذلك لم يتم دون حدوث مشاكل كان لها الأثر الكبير في توتر العلاقات بين دول اوربا ، فقد منحت بولونيا مناطق كان أكثرية سكانها من القومية الألمانية وهي بروسيا الشرقية ودانزك ، مما أثار مسألة الانتقادات التي وجهت الى المعاهدة لتغاضيها عن قضية القوميات وعدم رسم حدود واضحة المعالم مبنية على هذا الاساس رغم أنه يمثل مرتكزا مهما من مرتكزات الاستقرار السياسي الدولي في القارة الأوربية على صعيد العلاقات الدولية ، وعلى أثر هذا التغاضي شهدت العلاقات بين المانيا ودول الجوار، ولاسيما بولونيا "توترا" ملحوظا قاد الدولتين الى تصعيد الموقف ووصوله الى درجة جعلت الدولة المعنية في وضع لاتحسد عليه ، وقد أنعكست أثار هذا التوتر على مواقف بعض الدول العظمى في أوربا وبالخصوص بريطانيا وفرنسا . (٢٩)

غير أن مقتضيات الربط الموضوعي والمنهجي للدراسة تستدعي الخوض في مسألة قضية دانزك وأثرها في العلاقات الدولية قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، على اعتبارها تمثل اخطر قضية ساهمت في اندلاع الحرب ، وبعدها نلقي الضوء على موقف الدول العظمى منها. فما هي قضية دانزك ؟ وكيف بدأت؟ للاجابة على هذه الاسئلة لابد من الخوض في حيثيات نشوء المذهب النازي الالماني وفلسفته القومية الاشتراكية التي وضعها هتلر لرسم سياسة خارجية يتعامل بمقتضاها مع دول القارة الأوربية ، خاصة المجاورة لالمانيا منها.

كانت بداية الحزب القومي الذي تزعمه هتلر بداية بسيطة ، أذ لم يتجاوز عدد اتباعه خلال مرحلة النشوء التي الواقعة بين عامي (١٩١٩ –١٩٢٠) الخمسين عضوا – وهو عدد يعكس بطبيعة الحال ضعف العمل النازي حينذاك – غير ان هذا الحال لم يستقر على ما هو عليه ، حيث شهد الحزب النازي مرحلة اخرى في حياته داخل المانيا هي مرحلة العمل السياسي التي أنطلقت من نهاية مرحلة النشوء الى عام ١٩٣٠، وكانت بمثابة الاساس الفعال للمرحلة التي تلتها وهي مرحلة الارتقاء والتسلط في المانيا بين عامي ١٩٣٠–١٩٣٣ ومن خلالها أستطاع هتلر أن يصل مع أتباعه الى عرش الاستشارية الألمانية، (٣٠) حينها أخذت المانيا تمارس سياستها الخارجية الجديدة في ظل حكم النازيين ، وقد اصطبغت هذه السياسة بطابع انتقامي ، كان لظروف ونتائج الحرب العالمية الأولى الدور الكبير في صياغتها.

وبالامكان حصر اهم الاهداف التي رسمتها السياسة الألمانية لتتعامل من خلالها مع دول الجوار الأوربية كما يلي :-

١. أن يعاد الى المانيا استقلالها وسيدتها الفعلية بين الدول الأوربية ، وهي إشارة واضحة لنهج المانيا تجاه دول الجوار بعد الحرب العظمى.

٢. استرجاع كافة الأراضي التي فقدتها المانيا عام ١٩١٩ .

٣. رفض وجود أي دولة عسكرية مجاورة لالمانيا في المستقبل ، واذا وجدت هذه الدولة فعلى المانيا ان تعمل بكل السبل مناجل تقويض هذه الدولة.

٤. توسيع الحدود الألمانية الى ما وراء حدود عام ١٩١٤ ، منتهجا في ذلك فلسفة مفهوم المجال الحيوي ، وذلك لاعطاء سياسته الجديدة المتخذة تجاه اوربا شيء من الشرعية. (٣١)

النزعة القومية والحرب العلمية الثانية :

من خلال الاطلاع على أهداف السياسة الخارجية الألمانية ، ولاسيما الثاني والرابع منها نجد أنها لا تخلو من نزعة التوسع على حساب حدود دول اخرى مجاورة ، وخاصة بولونيا ، اذ منح للاخيرة ميناء دائزك

بعد سلخه من الاراضي الالمانية وفقا لمقررات معاهدة فرساي ١٩١٩ وكانت مسالة ارجاعه للاراضي الالمانية الشغل الشاغل لبرنامج عمل السياسة الألمانية الجديدة.

كانت قضية ميناء دائزك السبب المباشر الذي اشعل اوار الحرب العالمية الثانية كيف؟.

يقع ميناء دائرك على بحر البلطيق وهو مدينة المانية ، بل كان عاصمة بروسيا الشرقية ، وبهزيمة المانيا في الحرب العالمية الأولى ، قطعت معاهدة فرساي هذا المرفأ عن الوطن الام وأنشأت له نظاما دوليا" يتماشى مع مقتضيات نظام ما بعد الحرب ، اذ أسندت ادارته الى مجلسي نواب وشيوخ تحت رقابة مندوب سام تعينه عصبة الأمم ، كما أوكلت مندوبب بولوني بالمدينة ادارة الثغر نفسه والكمارك والسكك الحديدية بالمدينة ، كما ظم الممر الذي كان يتصل بالميناء للحدود البولونية واصبحيسمى (الممر البولوني)، وقد فصل هذا الممر بولونيا عن بروسيا الشرقية ، وأصبح بمثابة اللمرتكز الاساس لتجارة الدولة الخارجية الناشئة. (٣٢)

ومنذ الوقت الذي اصبح فيه منطقة تابعة الى بولوننيا ، بدأت المانيا تشعر بمرارة الخذلان والخسران ، اذ كيف يوضع هذا المرفأ الهام بالنسبة الى المانيا تحت تصرف دولة مجاورة كانت المانيا تكن لها كل العداء قبل حرب عام ١٩١٤م لاعتبارات قومية. (٣٣)

لاشك أن اصرار النازيين على ضرورة عودة الميناء الى حد الخارطة الألمانية ، خلق نوعا من العلاقات الدولية حاولت الدول العظمى من خلالها احتواء الموقف بصورة واضحة أبتعدت عن نفس المباحثات الدبلوماسية الغامضة ، اذ عبر رئيس وزراء فرنسا (دالادية) في ٢٥ /اب ١٩٣٨ ، عن موقفه ازاء القضية البولونية – الالمانية ، وأوعد بالوقوف الى جانب بولونيا عسكريا اذا ما اقتضى الأمر ، وتجدر الاشارة الى أن هذا الموقف لم يكن دون مبررات سياسية وستراتيجية ، اذ ارادت فرنسا –

خاصة بعد الحرب العالمية الأولى – أن تجد لها اصدقاء في المنطقة وذلك للحيلولة دون اكتمال مراد الالمان الذين كانوا يتطلعون الى اعادة الاراضي الألمانية في نظرهم والسيطرة عليها. (٣٤)

في حين اكدت بريطانيا العظمى على رغبتها لحل القضية الالمانية –البولونية "حلا" سلميا دون اللجوء الى حرب ، غير أن الجانب الالماني اصر على موقفه تجاه قضية دانزك وأرجاعه عسكريا" ، رغم الجهد المبذول من قبل الدول المذكورة ، حتى أن ايطاليا وهي الدولة المتفقة ستراتيجيا" مع المانيا – وذلك بمعاهدات سابقة – ارادت من المانيا العدول عن رأيها الخطير ، اذ أن الدولتين أتفقتا على المساعدة في حال نشوب الحرب عام ١٩٤١ وليس عام ١٩٣٩ غير ان ذلك لم يقف حائلا" دون تعاون الدولتين عسكريا" وهذا ما اكدته احداث الحرب العالمية الثانية فيما بعد (٣٥)

الخاتمة :

لقد شهد البعد القومي تطورا واضحا خلال حقب مختلفة من تاريخ اوربا الحديث ، وقد تجلى هذا الاختلاف ، في وقت كان فيه العالم يشهد تحولات أيديولوجية وسياسية كان لها الأثر الواضح على تلك التحولات ، اذ ما انتهى القرن الثامن عشر واصبح العالم على عتبات القرن الذي تلاه ، حتى اخذت الحركة الرومانتيكية الأوربية تتضح صورها لاسيما في المانيا وايطاليا ، وكان ذلك نتيجة طبيعية للاوضاع التي سادت فيها حالة التوتر بين المانيا وفرنسا ، حيث هيأت تلك الظروف المناخ المناسب ، لانبثاق أديولوجية جديدة تقوم على اساس البعد القومي الحديث بعد ان تم اكتشاف عناصر الاختلاف بين الشعوب والبلدان الأوربية الأمر

الذي ادى بالنتيجة الى خلق نوع من الظواهر الاستقلالية القومية داخل اقطار القارة الأوربية ، وهذا ما اكدته ثورات عام ١٨٤٨م التي نجم عنها الوحدة الالمانية والايطالية وأخرى كان لها بصمات واضحة على الوضع السياسي فيما بعد.

إن ظهور الدول القومية المستقلة ، قد ادى الى بروز جملة من المشاكل السياسية والحدودية بين الدول الأوربية ، كان لها الأثر الفعال في صياغة وضع العلاقات المتوترة بين دول اوربا ، سواء كان ذلك خلال الحرب العالمية الأولى ام الثانية ، الا ان الامر الذي لابد من طرحه من خلال المعطيات العلمية للبحث ، هو أن البعد القومي كان له الاثر الواضح والكبير في اندلاع الحرب العالمية الثانية بشكل قد فاق حيثيات الحرب الأخرى ، فقد اتضح ذلك من خلال استغلال هتلر لهذه المسألة ودمجها مع قضية المجال الحيوي الالماني وهذا ما جعل الخط البياني للعلاقات الاوربية قبيل الحرب يزداد من سيئ الى اسوء اذ راحت قضية دانزك تتبوأ قائمة القضايا الدولية لتكون المحور الذي عليه تتحدد درجة الانفراج الدولي والعكس ، الا أن الموقف الآخر هو الذي ساد ، مما جعل الأمر يرتقي الى مستوى الحرب ، حينما أعلنت المانيا الحرب ضد بولندا عام ١٩٣٩.

المصادر والهوامش :

(١)Veron Van Dyke, International politics, New p.p.184.185; Martin Wight, York, 1971, Power Politics, London, 1946, p.p. 39.40.

(٢)Ibid.

(٣) المجال الحيوي ، هو من المفاهيم المركزية لمدرسة الجغرافية السياسية (الجيو – بولتيك) الرامية إلى دراسة العلاقات المتبادلة بين المجال الجغرافي للدولة وسياستها الخارجية) وأول من قال بالمجال الحيوي في العصر الحديث هو الألماني فريديك رانزل) في كتابه الموسوم (الجغرافية السياسية) الصادر عام ١٨٩٧ وبه أراد أن يفسر حركة التاريخ الدولي من منظور جغرافي ، إذ أكد على أن التاريخ هو صراع مستمر بين الدول من اجل المجال الحيوي ، ينظر كتاب ، تعريف لاهم المصطلحات الفكرية والسياسية والاقتصادية الصادر من مكتب وزارة الثقافة و الاعلام ، بغداد ، بلا ، ص ٣٦٩.

(٤) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر ، محمد فؤاد شكري ، الصراع بين البرجوازية و الاقطاع ١٧٨٩–١٨٤٨، المجلد الثاني ، القاهرة ، ١٩٥٨.

(٥) Emman Peter Smith World History Boston, 1946, p.481

(٦)Ibid.

(7)Ibid. p.p.513-514.

(8)Ibid.p.p.513-519.

(٩) حول هذا الموضوع ينظر . أ. فشر، تاريخ أوربا في العصر ١٢٩ ،٦، (١٧٨٩-١٩٥٠) الحديث القاهرة، بلا، ص ص .١٣٠

(١٠) حول موضوع اثر الثورة الفرنسية على الاتجاعات القومية ينظر،

L.R.Gottschalle, Era of the French Revolution, 1751-1815, New york, 1929

٩٦-١٧٩.

(١١) ٠١٠٠ فشر ، المصدر السابق، ص ص(179-96).

(١٢) للمزيد من التفاصيل ينظر ،ص٤٢٦.

F.C.Dietz , industrial Revolution ,London ,1928.

(١٤) المصدر نفسه .

(١٥) ه.ا.ل. فشر ، المصدر السابق ، ص٦٤٨.

(١٦) المصدر نفسه ، ص٥٤١.

(17)بيير رئفن ، المصدر السابق، ص٣٥؛ ينظر كذلك رياض الصمد العلاقات الدولية في القرن العشرين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٣، ص٢٢ .

(18)ا لمصدر نفسه، ص٣٩ .

(19) للمزيد من التفاصيل حول أسباب الحرب العظمى ، ينظر

york New ,vol 2, war the of Origins, Fay Sidny 1930

(20) للتفاصيل ينظر ،

p.p ,1925 ,york New ,History World, Webster H.669-673

(21)هنالك مصادر عدة تناولت هذا الموضوع منها على سبيل المثال لا الحصر

.91-695. p.p. .bid.

كذلك عبد المجيد نعنعي، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث، بيروت ، ١٩٨٣، ص ٥٨–٥٥ .ua

(22) هـ ٠أ .ل . فشر، المصدر السابق ، ٥٣٧ .oa

(23) الوثائق الأمريكية الرسمية " أرشيف وزارة الخارجية الموجودة في الأرشيف القومي بواشنطن الأوراق الخاصة ب(كلايتون) وهي رسالة الى و، ج في ٢/٥/١٩١٩، نقالا غن ، عبد الو هاب الكيالي ٣ ، بيروت، ١٩٧٣ l33ua.

(٢٤) ينظر فى هدا الموضوع،

vol ,mpire. British ٣ ..the of History Cambridge The ,A.Benians

.p .٣٨.

كذلك ، محمد كمال الدسوقي ، تاريخ المانيا، القاهرة، ١٩٦٩ ،ص١١٨.

(٢٥) محمد كمال الدسوقي ، المصدر نفسه.

(٢٦) عن بنود ويلسونالاربعة عشر ، ينظر، .٠٠، mith, OP ,cit ,p.

(٢٧) للمزد من المعلومات حه ل معاهدة ف سام نظر.

.٦٦٦-٥٢. p.p ,cit ,OP ,E.A.Benians

كذلك ينظر، محمد كمال الدسوقى ، المصدر السابق ، ص ص ١٢٤-١٢٠.

(٢٨) الدسوقي ، المصدر السابق .

(٢٩) رنفن ، المصدر السابق، ص ص ٢٩٢— ٢٨٤.

(٣٠) الدسوقي ، المصدر السابق، ص 138 -æ234u.

(٣١) رنفن . المصدر السابق ، ص ٢٨٩.

(٣٢) احمد سويلم العمري ، أصول العلاقات السياسية الدولية ، القاهرة ١٩٥٩و ص ص ١٠٨٨ ١٠٨٩.

(٣٣) المصدر نفسه ١٠٩٠.

(٣٤) رنفن ،المصدر السابق ، ص٤٢٦.

(٣٥) المصدر نفسه ، ص٤٣٥ .